الشمائل المحمدية

اللقاء الثالث

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: "قلْتُ يا رسولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصلاةَ عليْكَ فكم أجعَلُ لكَ من صلاتِي فقال ما شِئْتَ. قال قلتُ الربعَ قال ما شئْتَ، فإِنْ زدتَّ فهو خيرٌ لكَ. قلتُ النصفَ قال ما شئتَ، فإِنْ زدتَّ فهو خيرٌ لكَ. قال قلْتُ فالثلثينِ قال ما شئْتَ، فإِنْ زدتَّ فهو خيرٌ لكَ. قلتُ أجعلُ لكَ صلاتِي كلَّها قال: إِذًا تُكْفَى همَّكَ ويغفرْ لكَ ذنبُكَ" رواه الترمذي

تأتي الصلاة على النّبيّ -ﷺ-كماءٍ باردٍ على القلب، تُلطّف النفس، وتداوي الروح، تُجدد له الحُب، وتُقِرُّ له بالبيعة، وتعاهده على الطاعة، وندعو الله الكريم أن يرزقنا منه الشفاعة صلوا عليه.....

محبة الرسول -ﷺ- أصل عظيم من أصول الدين، بل إن إيمان العبد متوقف على وجود هذه المحبة، فلا يدخل المسلم في عِداد المؤمنين الناجين حتى يكون الرسول -ﷺ- أحبَّ إليه من نفسه التي بين جنبيه ومن ولده ووالده والناس أجمعين، قال رسول الله -ﷺ-:" لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ" صحيح البخاري.

وهذه المحبة وإن كانت عملا قلبياً، إلا أن آثارها ودلائلها لابد وأن تظهر على جوارح الإنسان، وفي سلوكه وأفعاله، فالمحبة لها مظاهر وشواهد تميز المحب الصادق من المدعي الكاذب، وتميز من سلك مسلكاً صحيحاً ممن سلك مسالك منحرفة في التعبير عن هذه المحبة.

وأول هذه الشواهد والدلائل طاعة الرسول -ﷺ- واتباعه، فإن أقوى شاهد على صدق الحب – أيا كان نوعه – هو موافقة المحب لمحبوبه، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة، ولذلك كان أكبر دليل على صدق الحب لرسول الله -ﷺ- هو طاعته واتباعه، فالاتباع هو دليل المحبة الأول، وشاهدها الأمثل، بل كلما عظم الحب زادت الطاعة له -ﷺ-، فالطاعة إذا هي ثمرة المحبة، ولذلك حسم القرآن دلائل المحبة لله ولرسوله -ﷺ- في آية المحنة وهي قوله جل وعلا : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[آل عمران: 31]، فإذا كان الله عز وجل قد جعل اتباع نبيه دليلاً على حبه سبحانه، فهو من باب أولى دليل على حب النبي -ﷺ-، قال الحسن البصري رحمه الله " زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية" .

وصدق القائل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فالصادق في حب النبي -ﷺ-، هو من أطاعه واقتدى به، وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه.

قال د. حسن بخاري: لم يكرمنا الله بصحبته-ﷺ-، لكنه أكرمنا بحفظ رواية دقيقة جليلة نقلت لنا أوصافه وهيئته -ﷺ- من أجل ألا يبقى مسلم إلى يوم القيامة يشعر بالحرمان أنه ما رآه عليه الصلاة، ومن أجل إن ترسم كل القلوب المسلمة إلى يوم القيامة صوره صادقه تنقل وصفه وهيئته وحليته وجماله -ﷺ-.

هي دعوه لكل مسلم أن يكون في مجلس كهذا ينهج لسانه بكثرة الصلاة والسلام على النبي -ﷺ- مع كل خفقه قلب، ومع كل دفقه حب، وهو يسمع تلك الأوصاف وكأنه يراها، وهو يتأمل تلك العبارات التي نقلها الصحابة -رضي الله عنهم-، ووصفهم جمال الحبيب -ﷺ-، وصفوا لون بشرته وشكل شعره وهيئة أعضاء جسده الشريف -ﷺ- كل ذلك لا شك يحرك في قلوب المحبين قدرا كبيرا مما في قلوبهم من الحب والشوق إلى رسول الله -ﷺ-، وبشرى لكل من تحرك قلبه حباً، وشوقاً للنبي المصطفى -ﷺ- إن يكون معاده إلى خير، كيف لا وقد امتلئ قلبه بحب النبي الذي ستقوده نفسه لا محالة إلى أن يكون أقرب إلى سنته، وأن يكون أكثر استمساكاً بدينه وشريعته ، وأن يكون اقرب الناس إلى الأخذ بما جاء به في دينه جملة وتفصيلاً.

2- باب ما جاء في خاتم النبوة.

قال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله-: هذا الباب له تعلق بصفة النبي -ﷺ- الخَلقية، فهو فرع عن الباب الذي قبله؛ لأن من صفة النبي -ﷺ- الخَلقية هذا الخاتم الذي جعله الله تعالى بين كتفيه، وقد أتفق أهل العلم على أنه كان علما وآية على نبوته -ﷺ-، لكنهم اختلفوا هل ولد به -ﷺ- أم أنه وجد بعد ذلك؟ والأظهر الذي تسنده الروايات والأدلة أن هذا الخاتم كان مع حادثة الشق التي حصلت للنبي -ﷺ- عندما أتاه جبريل وشق صدره وغسل قلبه، وفي تلك الحادثة كان طبع خاتم النبوة بين كتفي النبي -ﷺ-.

وهذا الخاتم هو جزء ناتئ وبارز من البدن بين الكتفين، وهو إلى الكتف الأيسر أقرب، ويأتي ذكر حجمه في الروايات التي ساقها المصنف رحمه الله بأنه مثل حجم بيضة الحمامة، ويشبه الجسد من حيث اللون.

وقد جاء ذكر هذا الخاتم صفة له -ﷺ- في الكتب السابقة، وكان يعرفه أهل الكتاب بما اطلعوا عليه في تلك الكتب أنه علامة لنبوته -ﷺ-، وسيأتي أن سلمان رضي الله عنه لما سمع بالنبي -ﷺ- جاء يطلب هذه العلامة ويتحراها حتى رآها.

16- قَالَ: السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، وَتَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ

إِلَى الْخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مِثْلُ زِرِّ الْحَجَلَةِ " أخرجه البخاري 190، ومسلم 2345، والمصنف في جامعه 3643 "

- قوله: " ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-" قال الحافظ ابن حجر: " لم أقف على اسمها " " فتح الباري 6/ 562 ".

- قولها: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ"، أي به مرض، وجاء في بعض الروايات في صحيح البخاري 3541 أنها قالت: " يا رسول الله! إن ابن أختي وقع " فأخذ من ذلك بعض أهل العلم أن الإصابة التي فيه كانت في قدمه، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "كان يشتكي رجله كما ثبت في غير هذا الطريق " فتح الباري 6/ 562 ".

- وقوله: "فَمَسَحَ رَأْسِي" مسح رأس الصبي فيه التلطف به، كما أن وضع اليد على المريض فيه مؤانسة له، وإحساس ببعض ما يعانيه من حرارة الجسم وخفقان القلب ونحو ذلك، وقوله: "وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ" المراد بالبركة حصول الخير ونماؤه وزيادته.

وقد أجاب الله دعاء النبي -ﷺ- له بالبركة، ففي بعض روايات الحديث في " صحيح البخاري " عن الجُعَيْد بن عبد الرحمن أنه قال: " رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين؛ جلدا معتدلا، فقال: قد علمت ما متعت به سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله -ﷺ- إن خالتي ذهبت بي إليه فقالت: يا رسول الله! إن ابن أختي شاك فادع الله، قال: فدعا لي " أخرجه البخاري 3540 ". فجاوز عمره التسعين ولا يزال جسمه متماسكا قويا معتدلا؛ فليس فيه حدبة أو انحناء، ولا يزال يتمتع بسمعه وبصره، ببركة دعوة النبي -ﷺ-، والسائب آخر من مات من الصحابة في المدينة؛ توفى سنة إحدى وتسعين، وهو ابن ست وتسعين سنة.

- وقوله: " وَتَوَضَّأَ، فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ" أي: توضأ النبي -ﷺ- فشربت من فضل وضوئه وهو ما انفصل من الماء الذي لامس جسده الشريف -ﷺ-، وهذا النوع من التبرك، التبرك بريقه -ﷺ- وشعره وفضل وضوئه حق دلت عليه الدلائل، وجاءت نصوص كثيرة تشهد له، وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلونه، وهو باتفاق أهل البصيرة بسنة النبي -ﷺ- من خصائصه -ﷺ-؛ فلا يتبرك بريق أحد غيره، ولا بشعر أحد غيره، ولا بعرق أحد غيره، ولا بفضل وضوء أحد غيره، بل هو من خصوصياته -ﷺ-، ولا يلحق به غيره مهما كان فضله ومكانته.

البركة التي جعلها الله في الأشياء تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: بركة ذاتية، جعلها الله في الذوات: وهذه البركة هي في أجسام الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام-، فيجوز أن يتبرك من يشاء من قومهم بهم، إما بالتمسّح بأجسامهم أو بعرقهم أو بشعرهم؛ لأن الله قد جعل أجسامهم مباركة، فمن تبرك بهم تعدت إليه البركة، وقد كان نبينا محمد -

صلى الله عليه وآله وسلم – ذا جسدٍ مبارك، فكان الصحابة – رضي الله عنهم — يتبركون بعرقه وشعره...وغير ذلك.

❁القسم الثاني: بركة معنوية، ومنها:

بركة المسلم فكل مسلم مبارك، وهي بركة ما معه من الإسلام والتقوى، ومتابعة رسول الله –ﷺ–، وقد قال –ﷺ–: «إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ» (رواه البخاري). وهذه بركة عمل، وكلما كان المسلم أكثر تمسكًا واتباعًا لرسول الله –ﷺ– كان أكثر بركةً، فالتبرك بأهل العلم والتقوى هو الأخذ من علمهم والاقتداء بهم في التقوى والعمل الصالح، ولا يجوز أن يُتَمَسَّح بهم أو يُؤْخَذ ريقُهم للتبرك به لأن الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– لم يفعلوا ذلك مع خير هذه الأمة بعد نبيها –وهم أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي – رضي الله عنهم –.

– وقوله: " وَقُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ "، أي: قام السائب خلف ظهر النبي –ﷺ–؛ إما أنه قصد القيام خلفه لينظر إلى الخاتم الذي ربما يكون قد سمع عنه ولم يره بعد، أو أن قيامه كان اتفاقا فلم يقصد النظر، لكنه لما وقف وقع نظره عليه.

– وقوله: " فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ "، هذه البينية ليست على وجه التحديد، وإنما هي على وجه التقريب؛ لأن الخاتم لم يكن بين الكتفين تماما، بل هو إلى الكتف الأيسر أقرب، كما دلت على ذلك الدلائل والشواهد، ولعل من حكمة ذلك كما ذكر بعض أهل العلم أن هذا الموضع أقرب إلى موضع القلب.

– وقوله: "فَإِذَا هُوَ مِثْلُ زِرِّ الْحَجَلَةِ"، ذكر المصنف رحمه الله عندما أورد هذا الحديث في كتابه الجامع 3643 أن زر الحجلة معناه بيض الحجلة الطائر المعروف، ويعضد هذا التفسير مجيء بعض الأحاديث بتشبيهه ببيضة الحمامة كما سيأتي، وهو مقارب لبيضة الحجلة من حيث الحجم.

17– عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ الْخَاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُدَّةً حَمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ ". في إسناده أيوب بن جابر بن صيار؛ وهو ضعيف، وقد خرجه الإمام مسلم في صحيحه 2344 من طريق عبد الله، عن إسرائيل، عن سماك به، ولفظه: " رأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده، ومعنى " يشبه جسده ": أي مثل لون الجسد "

– قوله: " رَأَيْتُ الْخَاتَمَ " أي: خاتم النبوة، " بَيْنَ كَتِفَيْ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ–" وهذه البينية للتقريب لا للتحديد، وقوله:" غُدَّةً " الغدة: عقدة في الجسد تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت، وقوله: " حَمْرَاءَ " أي لونها أحمر، " مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ " أي: من حيث الحجم.

⇦وما يذكر في بعض الروايات أنه شامة سوداء، أو شامة خضراء، أو نحو ذلك، كله لم تأت به أحاديث صحيحة، بل الذي ثبت هو أن لونه لون الجسد، لكنه جزء ناتئ بحجم البيضة تقريبا.

18- عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ رُمَيْثَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أُقَبِّلَ الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِنْ قُرْبِهِ لَفَعَلْتُ، يَقُولُ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ يَوْمَ مَاتَ: اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ". أخرجه أحمد في المسند 26793 ".

- قول رميثة الأنصارية رضي الله عنها: " وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أُقَبِّلَ الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِنْ قُرْبِهِ لَفَعَلْتُ " جملة معترضة لتأكيد قربها من النبي -ﷺ-، وفيه توثيق وتوكيد سماعها منه -ﷺ- لتمكنها بهذا القرب من رؤية الخاتم.

- وقولها: " يَقُولُ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ يَوْمَ مَاتَ: اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ "، أي: اهتز لموته عرش الرحمن، وفيه منقبة عظيمة، ومكانة علية لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه؛ حيث اهتز لموته هذا المخلوق العظيم الذي هو أعظم مخلوقات الله تعالى وأكبرها وأوسعها، وقد وصفه الله سبحانه في القرآن بالعرش العظيم، وبالعرش الكريم، وبالعرش المجيد، أي الواسع، وهو سقف المخلوقات وأعلاها وأرفعها، ولهذا جاء في الحديث أن النبي -ﷺ- قال: " فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ وأعْلَى الجَنَّةِ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ " أخرجه البخاري 7423 ".

⇦ومما جاء من الأحاديث في بيان عظم العرش وكبره: ما رواه أبو ذر رضي الله عنه عن النبي -ﷺ- أنه قال: " ما السماوات السبع، والأرضون السبع في الكرسي إلا كحلقة ألقيت في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة " كتاب العرش لابن أبي شيبة 1/ 174 ". أي أن السماوات والأرضين كلها بالنسبة إلى الكرسي كقطعة صغيرة ألقيت في صحراء، والكرسي في العرش مثل ذلك.

فهذا العرش العظيم اهتز لموت سعد، وهذا الاهتزاز على ظاهره يمر كما جاء على قاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب، بعيدا عن طرائق أهل التأويل الباطل الخائضين في كلام الله وكلام رسوله -ﷺ- بتعطيل نصوصه، وصرف معانيه عن ظاهرها الحق الثابت إلى معان متكلفة، يوردها أهل التأويل زاعمين أنها المراد بكلام الله أو بكلام رسوله -ﷺ-.

وقد روت هذه الصحابية رضي الله عنها وغيرها هذا الحديث، وتناقله السلف دون خوض فيما يصرف هذا النص عن ظاهره، وهذا مما برأ الله السلف الصحابة ومن اتبعهم بإحسان منه، فكان طريقتهم إمرار النصوص كما جاءت، والإيمان بها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فهذه قاعدة أهل السنة، وجادتهم في هذا الباب.

وإضافة العرش إلى الرحمن فيه تشريف للعرش، وبيان لفضيلته، وعظيم شأنه، كيف لا وهو أعظم المخلوقات وأوسعها، وأكبرها، وقد خلقه الله تعالى وأوجده من العدم ليستوي عليه - جل وعلا-، كما أخبر بذلك في غير موضع من كتابه، قال-عز وجل- " الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ " [طه: 5]. وقال

تعالى: " ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۛ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا " [الفرقان: 59]، ومعنى استوى عليه: علا وارتفع علوا وارتفاعا يليق بجلاله وكماله.

19- كَانَ عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، إِذَا وَصَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ - وَقَالَ: بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ".؛ وقد تقدم بيان أن في الحديث علتين: إحداهما ضعف عمر بن عبد الله، والأخرى الانقطاع بين إبراهيم وعلي رضي الله عنه ".

- تقدم حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذكر وصف النبي -ﷺ- بطوله في الترجمة التي قبله بالإسناد نفسه، وأعاده المصنف رحمه الله هنا؛ لقوله: " بين كتفيه خاتم النبوة ".

20- قَالَ عِلْبَاءُ بْنُ أَحْمَرَ الْيَشْكُرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ الأَنْصَارِيُّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا زَيْدٍ، ادْنُ مِنِّي فَامْسَحْ ظَهْرِي، فَمَسَحْتُ ظَهْرَهُ، فَوَقَعَتْ أَصَابِعِي عَلَى الْخَاتَمِ قُلْتُ: وَمَا الْخَاتَمُ؟ قَالَ: شَعَرَاتٌ مُجْتَمِعَاتٌ ". أخرجه أحمد في المسند 20732، وفيه " فأدخلت يدي في قميصه "، وفيه " بين كتفيه " بدل " مجتمعات ".

- قول عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه: " قال لي رسول الله -ﷺ-ينادي هذا الصحابي بكنيته.

- وقوله: " ادْنُ مِنِّي " طلب -ﷺ-منه أن يدنو ويقترب منه، وقوله: " فَامْسَحْ ظَهْرِي " أي ضع يدك على ظهري وحركها، وقوله: " فَمَسَحْتُ ظَهْرَهُ " أي مرر يده على ظهر النبي -ﷺ-.

- وقوله: " فَوَقَعَتْ أَصَابِعِي عَلَى الْخَاتَمِ " أي أنه أثناء تحريكه يده على ظهر النبي -ﷺ-وقعت أصابعه على الخاتم.

- وقوله: " قلت: وَمَا الْخَاتَمُ؟ ": القائل هو علباء الراوي عن عمرو ابن أخطب قال عمرو رضي الله عنه: " قَالَ: شَعَرَاتٌ مُجْتَمِعَاتٌ" ذكر هذا باعتبار ما وقعت عليه يده والخاتم قطعة من اللحم بارزة بحجم البيضة تقريبا، وحوله شعرات، فوقعت يده على تلك الشعرات، فليس الخاتم مجرد شعرات، فلا تعارض بين هذا وبين ما سبق.

فائدة: جاء في " المسند " للإمام أحمد رحمه الله بسند ثابت عن أبي زيد عمرو الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: " ادن مني "، قال: فمسح بيده على رأسه ولحيته، ثم قال: " اللهم جمله، وأدم جماله " أخرجه أحمد في المسند 20733 ". فدعا -ﷺ- له بهذه الدعوة المباركة، وقد بلغ رضي الله عنه بضعا ومائة سنة وما في رأسه ولحيته بياض إلا نبذ يسير، ولقد كان منبسط الوجه، ولم يصب بالتجاعيد التي تصيب كبار السن، وإنما بقي وجهه على جماله حتى مات ببركة دعوة النبي -ﷺ-.

وهذه الدعوة المباركة العظيمة متيسر الظفر بها حتى في زماننا هذا لمن يكرمه الله تعالى بالعناية بسنة النبي -ﷺ-وأحاديثه الشريفة؛ حفظا، وفهما، وعملا، ودعوة إليها؛ فقد صح عنه -ﷺ- أنه قال في

الخيف من منَى: " نضر الله امرءا سمع مقالتي؛ فوعاها فأداها كما سمعها " أخرجه الترمذي في جامعه 2658، وابن ماجة في سننه 230 من حديث جبير ابن مطعم رضي الله عنه ".

فهذه دعوة منه -ﷺ-لكل من يعنى بسنته حفظا وفهما ودعوة إليها، أن ينضر الله وجهه، وهي دعوة مستمرة، فمن أراد أن يفوز بهذه الدعوة المباركة في أي وقت، وفي أي قرن؛ فليعن بأحاديثه -ﷺ- حفظا لها، ومذاكرة لها، وعملا بها، ودعوة إليها، قال سفيان بن عيينة: " ما من أحد يطلب الحديث إلا في وجهه نضرة " رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث 22 ".

21- عن أَبِي بُرَيْدَةَ، يَقُولُ: جَاءَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا رُطَبٌ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: ارْفَعْهَا، فَإِنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ قَالَ: فَرَفَعَهَا، فَجَاءَ الْغَدَ بِمِثْلِهِ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ ؟ فَقَالَ: هَدِيَّةٌ لَكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِأَصْحَابِهِ : ابْسُطُوا. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَآمَنَ بِهِ وَكَانَ لِلْيَهُودِ فَاشْتَرَاهُ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بِكَذَا وَكَذَا دِرْهَمًا عَلَى أَنْ يَغْرِسَ لَهُمْ نَخْلا فَيَعْمَلَ سَلْمَانُ فِيهِ حَتَّى تُطْعِمَ فَغَرَسَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- النَّخلَ إلا نَخْلَةً وَاحِدَةً غَرَسَهَا عُمَرُ فَحَمَلَتِ النَّخْلُ مِنْ عَامِهَا وَلَمْ تَحْمِلْ نَخْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مَا شَأْنُ هَذِهِ النَّخْلَةِ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا غَرَسْتُهَا فَنَزَعَهَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَغَرَسَهَا فَحَمَلَتْ مِنْ عَامِهَا. " في إسناد المصنف رحمه الله علي بن حسين بن واقد: صدوق يهم؛ لكن رواه أحمد في مسنده 22997 من طريق زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه به، وصحح إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة ... "

كان من خبر سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه سمع عن دنو بعثة النبي، وسمع ببعض علامات نبوته، وأن منها أنه يقبل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وأن بين كتفيه الخاتم، وكان يتحرى رضي الله عنه أن يلقاه، ويتحرى مكانه، بل كان مجيئه إلى المدينة تحريا لذلك.

- قول أبو بُرَيْدَةَ -رضي الله عنه-: " جَاءَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا رُطَبٌ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ مَا هَذَا " ليس السؤال عن نوع الطعام الذي جاء به لأنه رطب، وإنما السؤال عن أمر آخر فهمه سلمان، فَقَالَ : صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ ، فَقَالَ : ارْفَعْهَا ، فَإِنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، فهذه العلامة الأولى ظهرت لسلمان أنه -ﷺ- لا يأكل الصدقة ، وجاء في بعض روايات الحديث " السنن الكبرى للبيهقي 5/ 327 " أن النبي -ﷺ- أمر أصحابه أن يأكلوا وأمسك هو -ﷺ- ، وحمل أهل العلم قوله في هذه الرواية : "ارفعها " ، أي عنه هو -ﷺ- فلا تكون معارضة للرواية التي فيها أمره -ﷺ- لأصحابه أن يأكلوا منها.

- وقوله: "فَجَاءَ الْغَدَ بِمِثْلِهِ" أي بمائدة عليها رطب، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟ فَقَالَ: هَدِيَّةٌ لَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: ابْسُطُوا، يقال: بسط يده إذا مدها، أي مدوا أيديكم فتناولوا منها، فلم يأمر -ﷺ- برفعها عنه، وهذه العلامة الثانية.

- وقوله: " ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَآمَنَ بِهِ "؛ وهذه الثالثة، فاجتمعت له العلامات الثلاث التي ذكرت له؛ فآمن برسول الله -ﷺ-.

- وقوله: " وَكَانَ لِلْيَهُودِ " أي كان رقيقا لليهود، " فاشتراه رسول الله -ﷺ- بكذا وكذا درهما ": سعى النبي -ﷺ- عند اليهود أن يكاتبوه على مقدار من الفضة، وأن يغرس لهم نخلاً، وجاء في بعض الروايات أن يغرس لهم مائتين أو ثلاثمائة نخلة، فأمر النبي -ﷺ- أصحابه أن يعينوه، فأخذوا يساعدونه بالفسائل؛ هذا يعطيه عشرا، وذاك يعطيه خمسا، وكان النبي -ﷺ- يباشر غرس تلك الفسائل بيده حرصا على عتق سلمان الفارسي رضي الله عنه.

- وقوله: " فيعمل سلمان فيه حتى تطعم " أي: حتى تثمر، ويؤكل من ثمرها.

- وقوله: " فغرس رسول الله -ﷺ- النخل " كان النبي -ﷺ- يباشر الغرس بيده الشريفة " إلا نخلة واحدة غرسها عمر رضي الله عنه ".

- وقوله: " فحملت النخل من عامها، ولم تحمل نخلة؛ فقال رسول الله -ﷺ-: " ما شأن هذه النخلة؟! "، فقال عمر: يا رسول الله! أنا غرستها، فنزعها رسول الله -ﷺ- فغرسها، فحملت من عامها "

⇦ولعل من الحكمة في ذلك أن تظهر المعجزة بإطعام جميع النخيل، سوى ما لم يغرسه بيده -ﷺ-، ومعجزة أخرى وهي غرسه تلك النخلة ثانيا، وإطعامها في عامها.

22- عَنْ أَبِي نَضْرَةَ الْعَوَقِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ عَنْ خَاتَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي خَاتَمَ النُّبُوَّةِ - فَقَالَ: كَانَ فِي ظَهْرِهِ بَضْعَةٌ نَاشِزَةٌ.

- قوله: "كَانَ فِي ظَهْرِهِ " دلت الروايات السابقة أنه بين الكتفين، وأنه إلى كتفه الأيسر أقرب.

- " بَضْعَةٌ " يعني: قطعة من اللحم، " نَاشِزَةٌ " أي: بارزة مرتفعة، فليست مستوية مع الجسم، بل هي ناتئة وبارزة، وقد تبين من خلال الروايات السابقة أن نتوءها وبروزها بحجم بيضة الحمامة تقريبا.

23- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدُرْتُ هَكَذَا مِنْ خَلْفِهِ ، فَعَرَفَ الَّذِي أُرِيدُ ، فَأَلْقَى الرِّدَاءَ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَرَأَيْتُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ عَلَى كَتِفَيْهِ مِثْلَ الْجُمْعِ حَوْلَهَا خِيلاَنٌ كَأَنَّهَا ثَآلِيلُ ، فَرَجَعْتُ حَتَّى اسْتَقْبَلْتُهُ ، فَقُلْتُ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : وَلَكَ فَقَالَ الْقَوْمُ : أَسْتَغْفَرَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَلَكُمْ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [محمد:]. " أخرجه مسلم 2346 "

-: " أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ " أي: معه -ﷺ-مجموعة من أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

- وقوله: " فَدُرْتُ هَكَذَا مِنْ خَلْفِهِ " أي: ذهبت إلى خلف النبي -ﷺ- ، وكان قصده بذلك أن يرى الخاتم الذي كان قد سمع به ، وقوله : " فَعَرَفَ الَّذِي أُرِيدُ " يعني : عرف أنني استدرت وجئت وراءه من أجل النظر إلى الخاتم ، " فَأَلْقَى الرِّدَاءَ عَنْ ظَهْرِهِ " ، والرداء هو الجزء الذي يوضع أعلى البدن ، وإزاحته عن الظهر متيسرة وسهلة ، فلذلك ألقاه -ﷺ- عن ظهره ، وقوله : " فَرَأَيْتُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ عَلَى كَتِفَيْهِ مِثْلَ الْجُمْعِ" ، والجمع هو : جمع اليد عندما تقبض ، فرأى الخاتم مثل حجم الجمع تقريبا .

وتقدم أن الروايات التي جاءت عن الصحابة في وصف حجم الخاتم متقاربة، وكل من الرواة يذكر بحسب ما سنح له، فأحدهم يقول: مثل زر الحجلة، وآخر يقول: مثل البيضة، وثالث يقول: مثل بضعة لحم، ورابع يقول: مثل جمع اليد.

والحديث رواه مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ: " فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه؛ عند ناغض كتفه اليسرى جمعا، عليه خيلان كأمثال الثآليل "، وناغض الكتف: العظم الرقيق الناتئ على طرفها، فهذه الرواية تدل على أن خاتم النبوة كان بين الكتفين ولكنه إلى الكتف الأيسر أقرب، وما تقدم في الروايات أنه بين الكتفين من باب التقريب، وإلا فإنه إلى الكتف الأيسر أقرب كما هو مصرح به في هذه الرواية.

- وقوله: " حَوْلَهَا خِيلاَنٌ " الخيلان: جمع خال وهو معروف يقال له: الشامة، قطعة صغيرة لونها أسود، وقوله: " كَأَنَّهَا ثَآلِيلُ "، والتآليل جمع ثؤلول، وهو جزء صغير ناتئ في الجسم يكون صلبا متماسكا.

- وقوله: " فَرَجَعْتُ حَتَّى اسْتَقْبَلْتُهُ " يعني: جئت أمامه بعد ما رأيت الخاتم، " فَقُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فقال: ولك " دعا له النبي -ﷺ- بهذه الدعوة العظيمة: بالمغفرة، " فقال القوم: أستغفر لك رسول الله -ﷺ-؟ " يعني: فزت بهذا الأمر العظيم والربح الكبير؛ حيث استغفر لك رسول الله -ﷺ-.

وهذا يدل على عظم شأن هذه الدعوة في قلوب أصحاب النبي -ﷺ- وفرحهم بها وهو -عليه الصلاة والسلام- إنما يستغفر في حياته ، أما بعد مماته فلا يستغفر لأحد ، كما يدل لذلك ما جاء في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله -ﷺ- قال لها : " ذاك لو كان وأنا حي ؛ فأستغفر لك " أخرجه البخاري 7217 " ، وهذا دليل واضح أنه -ﷺ- إنما يستغفر للناس في حياته ، وهو معنى قول الله تعالى : " ... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" [النساء:64] ،أي في حياته أما تنزيل الآية على ما بعد وفاته ؛ فهو خطأ في الفهم وتعد في معرفة مدلول الآية ، ولهذا قالوا له : " أستغفر لك رسول الله -ﷺ- ؟ فقال: نعم " استغفر لي، ولو كان هذا الأمر يطلب منه بعد وفاته لطلبه هؤلاء القوم لأنفسهم، لكنهم يعلمون أن هذه الفرصة إنما كانت ممكنة وقت حياة النبي -ﷺ-.

- وقوله: " ولكم " أي أنه -ﷺ- استغفر لكم؛ مستشهدا لذلك بقوله تعالى: " وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ "، والنبي -ﷺ- قام بذلك فاستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

هذا جملة ما ساقه المصنف رحمه الله فيما يتعلق بخاتم النبي -ﷺ-، والواجب في هذا الباب هو اعتماد ما ثبتت به النصوص الصحيحة، دون ما يذكر في الروايات الضعيفة، والأحاديث الواهية، والأخبار الموضوعة، أو الحكايات المرسلة؛ فـ " ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها محمد رسول الله، أو سر فأنت المنصور، أو نحو ذلك؛ فلم يثبت منها شيء " فتح الباري 6/ 563 تحت حديث رقم 3541 ".

فائدة: سئل الحافظ برهان الدين الحلبي رحمه الله: هل خاتم النبوة من خصائص النبي؟ أو كل نبي مختوم بخاتم النبوة؟ فأجاب: " لا أستحضر في ذلك شيئا، ولكن الذي يظهر أنه -ﷺ-خص بذلك لمعان منها: أنه إشارة إلى أنه خاتم النبيين، وليس كذلك غيره، ولأن باب النبوة ختم به؛ فلا يفتح بعده أبدا، وروى الحاكم " في المستدرك 2/ 631 " عن وهب بن منبه -رحمه الله تعالى- قال: " لم يبعث الله نبيا إلا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى، إلا أن يكون نبينا -ﷺ-؛ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه -ﷺ-، فعلى هذا يكون وضع الخاتم بظهر النبي -ﷺ-مما اختص به عن الأنبياء " سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي 2/ 50 ". ص 62

إنَّ الصلاةَ علىٰ النبيِّ مُحمدٍ
يُشفىٰ بها مَنْ لازَمَتْ شفَتيْهِ
كم طوَّقَ الهَمُّ المبرِّحُ مُهجَتي
فَكُفيتُ همّي بالصلاةِ عليْهِ